

عهد ا : بقلم الشيخ حيدر السعدي



الشيخ حيدر السعدي

ما هو عهد ا الذي من نقضه كان من الخاسرين ؟

قال تعالى {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}
[البقرة : 27]

قال في الامثل عند تفسيره لاية 27 من سورة البقرة : (هؤلاء لهم مع ا عهود ومواثيق، مثل عهد التوحيد، وعهد الربوبية، وعهد عدم اتّباع الشيطان وهوى النفس، لكنهم نقضوا كل هذه العهود، وتمرّدوا على أوامر ا، واتّبعوا أهواءهم وما أراداه الشيطان لهم.)

طبيعة هذا العهد:

وقد يثار سؤال حول العهد المبرم بين الإنسان والعهد عقد ذو جانبين، وقد يقول قائل: متى أبرمت
أنا مع الله سبحانه وتعالى عهداً من العهود المذكورة؟

الجواب على هذا السؤال يتضح لو عرفنا أن الله سبحانه وأودع في أعماق النفس الإنسانية شعوراً خاصاً وقوى خاصة يستطيع بها أن يهتدي إلى الطريق الصحيح، ويتجنب مزالق الشيطان وأهواء النفس، ويستجيب لداعي الله. هذه القوى الفطرية يعبر عنها القرآن (بالعهد الإلهي) يقول تعالى: {أَلَمْ أَعْهِدْكُمْ إِذْ لَكُمْ مَوْءِدٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [يس : 60] {وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [يس : 61]

و واضح أن الآية تشير إلى فطرة التوحيد والعبودية والميل إلى الاتجاه نحو التكامل في النفس الإنسانية. الدليل الآخر على هذا الاتجاه في فهم العهد الإلهي ما جاء في أول خطب نهج البلاغة عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : حيث قال: (وَبَدَعَتْ فِيهِمْ رُسُلَاهُ وَوَاتَرَا إِلَيْهِمْ أَنْزِيلِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْذِنُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ).

بتعبير آخر: كل موهبة يمنحها الله للإنسان يصحبها عهد طبيعي بين الإنسان، موهبة العين يصحبها عهد يفرض على الإنسان أي يرى الحقائق، وموهبة الاذن تنطوي على عهد مدوّس في ذات الخلقة يفرض الاستماع إلى نداء الحق... وبهذا يكون الإنسان قد نقض العهد متى ما غفل عن استثمار القوى الفطرية المودعة في نفسه، أو استخدم الطاقات الموهبة له في مسير منحرف، و الفاسقون: ينقضون بعض هذه العهود الفطرية الإلهية، أو جميعها

فالإنسان يمتلك هاديا من نفسه وهاديا من الخارج ، وله واعظ من نفسه و واعظ من الخارج .

أما الهادي والواعظ من نفسه فهي الفطرة ، وأما الهادي والواعظ من الخارج فهم الانبياء والرسل .

وبالمحمل فالفطرة مزروعة في داخلنا ، وما تمليه علينا هذه الفطرة هو الذي اسماه في الامثل بـ (العهد التكويني) .

وعلى هذا الاساس يكون كل تصرف على خلاف الفطرة نقض لعهد الله وهو نفاق ونتيجته الخسارة .

وقد ذهب الشيخ محمد جواد مغنية (قدس سره) الى ان عهد الله : هو اعمال العقل والعمل بوجبه كما قال

وهذا ليس ببعيد فكلنا قد قرأ الحديث المشهور المروي في بحار الانوار : (أن ا ﷻ عز وجل لما خلق العقل قال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، فقال تعالى: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو أكرم علي منك، بك ائيب وبك اعاقب، وبك آخذ وبك اعطي.)

وقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): (العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، قال: قلت: فالذي كان في معاوية ؟ فقال: تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل)

وعلى هذا الاساس فان اعمال العقل معناه عبادة ا ﷻ سبحانه وتعالى وامثال اوامره والالتزام بكل ما الزمنا به عز وجل .

فعهد ا ﷻ هو استعمال العقل في طاعة ا ﷻ والانتصار على الشهوة ، فالانسان يعيش صراعا داخليا بين عقله وشهوته ، فان اعمل عقله وغلب شهوته يكون قد اوفى بعهد ا ﷻ ، وان كانت شهوته هي الغالبة على عقله يكون قد نقض عهد ا ﷻ .

والعقل غير الفطرة ولكنهما يتفقان في النتائج ولا تنافي بينهما ، ولذا قيل عن الاسلام انه دين الفطرة وهو في نفس الوقت لا يتنافى مع العقل .